

الدولة الحمدانية

وعلاقتها بجيرانها

إعداد

الباحث/ علاء محمد عبد الغني

ينسب الحمدانيون إلى جدهم حمدان بن حمدون التغلبي أي يرجع نسبهم إلى قبيلة تغلب العربية الذي يتحدث عنها ابن خلدون قائلاً: "ثم كان من بعد ذلك في الإسلام ثلاثة بيوت، آل عمر بن الخطاب وآل هارون المغمّر، وآل حمدان بن حمدون بن الحارث بن نعمان

- مكانة الدولة الحمدانية:

كان للدولة الحمدانية مكانة بارزة في التاريخ الإسلامي في الميدانين السياسي والأدبي، فقد أنشأت هذه الأسرة إمارة في الجزيرة شمال الشام استمرت زهاء مائة عام، وهي فترة ليست بالطويلة في عمر الدول، ومسيرة التاريخ، ولكنها إذا كانت حافلة بالأحداث الجسيمة، والأعمال الباهرة، والآثار الأدبية الخالدة عدت حياة عريضة على الرغم من قصرها غنية على الرغم من بساطتها، وكانت الدولة الحمدانية أول إمارة عربية أصيلة تنشأ في مصر إسلامي^(١).

فقد احتلت الدولة الحمدانية مكانتها بجدارة كاملة وظهرت ملامحها العريقة الصميّة، فيما قامت به من مختلف ألوان النشاط، فقد كانت ذات نشاط حربي فاق حد النّصور إذ استطاعت أن تعيد إلى الدولة الإسلامية سيطرتها على حدودها، وأمكنها أن تدق أبواب العواصم، والثغور الرومية عنيقا، في

(١) د/ مصطفى الشكعة، فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين عالم الكتاب بيروت ص ٢٥.

فترات متقاربة، ففزع الروم، وأصيبت دولتهم بالصراع وزلزلت أراضيهم تحت سنايك الخيول العربية^(١).

وكما كانت الدولة الحمدانية ذات نشاط حربي ضد الروم، وكانت كذلك صاحبة نشاط حربي. ضد الإمارات الإسلامية المجاورة، والقبائل العربية الضاربة حولا فقد حاربت الإخشيديين أكثر من مرة وحاربت بني بوية، في الموصل وبغداد كما شن الحمدانيون الغارات على بني كلاب، وغيرهم من القبائل التي حاولت العبث بالأمن حتى استقر لهم الحكم خالصاً غير مشوب بما يعكر الصفو أو ينقص من سيادتهم^(٢).

- أبرز الشخصيات:

اشتهر تاريخ هذه الدولة بسيف الدولة الحمداني، فقد كان أديباً وشاعراً، جمع حوله الأدباء، وكانت مقاومته للروم بالغة الأثر، في تاريخ الإسلام، حيث أوج سيف الدولة روح الجهاد والمقاومة ضد الروم، فكانت الثغور الرومية، معامل صامدة للمقاومة، إذ كانت مواقف سيف الدولة كلها مواقف دفاع إزاء هجمات الروم المتتالية، فحروب سيف الدولة فصل خطير من الحروب الصليبية^(٣).

(١) د/ سيدة إسماعيل الكاشف، مصر في عصر الإخشيديين الهيئة المصرية العامة للكتاب ص ٣٥٦.

(٢) راجع د/ أحمد مختار العبادي "في التاريخ العباسي والفاطمي" دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت ص ١٤٠ - ١٤٥.

(٣) الموسوعة الميسرة في التاريخ الإسلامي، إعداد فريق البحوث والدراسات الإسلامية (فدا) إشراف ومراجعة قاسم عبد الله إبراهيم، محمد عبد الله تقديم الدكتور راغب السرجاني ص ٣٥٦.

- نشاط الحمدانيين الأدبي:

لم يكن نشاط الحمدانيين نشاطاً سياسياً حربياً فحسب، بل كان نشاطهم الأدبي رائعاً، فلقد اجتمع في بلاطهم من الشعراء والفحول، والعلماء والكتاب والفلاسفة، مما جعل دولتهم تنافس الدهر البقاء^(١).

ومن أمثال الشعراء المتنبي، وأبو فراس الحمداني، ومن العلماء والفلاسفة أبو بكر الرازي، والفارابي، وابن سينا... وغير من العلماء والفقهاء^(٢).

٧- انتشار التشيع وارتفاع شأن الشيعة بالحمدانيين:

كان لهذه الدولة باع كبير في الموصل وحلب حيث انتشر بهم التشيع وأُستد بهم أزر الشيعة في العراق، حيث قال آدم قنر في الحضارة الإسلامية "وكان الحمدانيون أول أسرة تتدخل في أمور بغداد"^(٣).

وقال الشيخ المظفر^(٤): ارتفع شأن التشيع في سورية أيام سيف الدولة، وانتشق أهله الهواء الطلق، بعد أن حبسه عنهم أرباب السلطان فكانت سورية أيام الحمدانيين مكتظة بالشيعة، وإذا دخلت المسجد الأموي الرفيع بناينه، والمشييد عمارة، وتوسطته، واقفاً تحت قبته، فأرفع رأسك لتتظر اسم علي عليه السلام.

(١) مصطفى الشكعة، فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين ص ٢٦.

(٢) قول آدم قنر الحضارة الإسلامية نقلاً عن المفكر نجاح الطائي: الدول الشيعة وعصرها الذهبي الجزء الثاني الطبعة الثانية ١١/٢٠٠٦م ص ٣٠٤.

(٣) سوف يأتي الحديث أثناء الحياة الفكرية تفصيلاً كاملاً عن حياة العلماء والمفكرين والأدباء والفلاسفة الذين كانوا في الدول الحمدانية نسبهم وما يختص بهم وأفكارهم.

(٤) الشيخ المظفر نقلاً عن نجاح الطائي المرجع السابق ص ٣٠٤ - ٣٠٥.

والحسن ~~الطاهر~~، والحسين ~~الطاهر~~، في باطن القبة، فأين اسم معاوية، ويزيد، وملوك آل مروان الذين رفضوا بناء ذلك المسجد^(١).

- الدولة الحمدانية ليست إمارتين وليست إمارة واحدة:

هناك نقطة لعلها تبدو غامضة أو غير ملحوظة عند كثير من داس التاريخ الإسلامي فأغلب المؤرخين حينما يكتبون عن دولة بني حمدان يكتبون عنها على إنها إمارة واحدة والواقع غير ذلك تماماً فبنو حمدان كان لهم إمارتان مستقلة كلاهما عن الأخرى تماماً الأولى في الموصل، والثانية في حلب، ولكن يكون الكلام صحيحاً وبعيداً عن المغالطة نثبت هذا بالأدلة والبراهين الواضحة الموثق من خلال كلام الدكتور مصطفى الشكعة والذي أكد على ذلك في النقط التالية حيث يقول^(٢): ".....".

١- حارب نصر الدولة بن بويه أكثر من مرة، وسقطت عاصمته، وطرد منها أكثر من مرة، ولم يحاول معز الدولة أن يسقط حلب لعلمه أن إمارة أخرى مستقلة كما لم يفكر أمير حلب سيف الدولة في خوض غمار الحرب في وصف أخيه ضد معز الدولة.

٢- انتهت إمارة الحمدانيين في الموصل سنة ٣٦٨هـ تقريباً في الوقت الذي كانت إمارتهم في حلب ما تزال ثابتة الأركان قوية البنيان.

٣- حارب سيف الدولة الروم عشرات المرات، وسقطت حلب أكثر من مرة فلم يحاول أمير الموصل أن يمدد بالمال أو الرجال أو الذخائر وانتهت إمارة الحمدانيين في حلب في نهاية القرن الرابع بعد نهاية إمارتهم في الموصل بحوالي الثلاثين عاماً مما يدل دلالة واضحة على

(١)

(٢) د/مصطفى الشكعة، فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين ص ١٥٦، ١٥٧.

أن للحمدانيين إمارتين لا إمارة واحدة، وإنما وحد بينهما الأمم والتعاون
الأدبي الذي كان قائماً بين الإمارتين خاصة فيس عهد الأخوين ناصر
الدولة وسيف الدولة ابن أبي الهيجاء.

- حكام الدولة الحمدانية.

في السطور التالية نكتب الحكام الذين حكموا إمارتي الموصل وحلب
وبعدها نتبعه برسم كروكي عن الحكام وفترة التولية ونهايتها:

أ. إمارة الموصل:

١. الحسن بن حمدان الملقب بناصر الدولة (٢٨١هـ/٢٩٣هـ).
٢. عبد الله بن حمدان الملقب أبا الهيجاء (٢٩٣هـ/٣١٧هـ).
٣. ابن ناصر الدولة (٣١٧هـ/٣٥٦هـ).
٤. أبو تغلب (٣٥٦/٣٦٧هـ).

ب. إمارة حلب:

١. علي بن حمدان الملقب سيف الدولة (٣٣٢هـ/٣٥٦هـ).
٢. ابنه أبو المعالي (٣٥٨هـ/٣٨١هـ).
٣. ابنه أبو الفضائل سعيد الدولة (٣٨١هـ/٣٩٢هـ).

حمدان بن حمدون

أبو الهجاء عبد الله بن حمدان
٢٩٣هـ/٣١٧هـ

حسين بن حمدان
(٢٥٤هـ/٣٠٦هـ)

حسن ناصر الدولة
٣١٧هـ/٣٥٣هـ
استطاع ضم الجزيرة

فضل الله أبو تغلب
الغضنفر
٣٥٣هـ/٣٦٨هـ

فضل الله أبو تغلب
الغضنفر ٣٥٣ - ٣٦٨هـ

البويهيون يقضون على ملك الحمدانية
في الموصل والجزيرة

علي سيف الدولة المشهور بسيف الدولة
الحمداني ٣٣٣هـ/٣٥٦هـ

أبو المعالي شريف سعد الدولة
٣٥٦ - ٣٨١هـ

أبو الفضائل سعيد الدولة ٣٨١هـ/٣٩٢هـ

والدولة الفاطمية تقضي على حكمهم
في حلب وحمص وقنسرين

علاقة الدولة الحمدانية بالدولة العباسية

والدولة الإخشيدية والبريديين

وسوف يقسم هذا الفصل إلى مباحث كالتالي:

١. ماهية العلاقة.

٢. علاقة الدولة الحمدانية بالدولة العباسية، ويندرج تحته ما يأتي:

أ. تمهيد:

ب. تعريف بالدولة العباسية.

ج. أساس العلاقة.

٣. علاقة الدولة الحمدانية بالدولة الإخشيدية.

أ. تمهيد.

ب. تعريف بالدولة الإخشيدية.

ج. أساس العلاقة.

٤. علاقة الدولة الحمدانية بالبريديين.

أ. تمهيد.

ب. تعريف بالبريديين.

ج. أساس العلاقة.

١. ماهية العلاقة:

سوف نتناول في هذه العلاقة السياسية، والاقتصادية والاجتماعية والفكرية.

(١) العلاقة بالدولة العباسية "المبحث الأول"

التمهيد:

أصبحت العلاقة بين الدولة العباسية والحمدانية بالتوتر وأحياناً بالهدوء وهذا ما يتضح في أساس العلاقة.

٢. تعريف بالدولة العباسية (١٣٢هـ/٦٥٦هـ)

ما من أحد مسلم إلا ويعلم تمام المعرفة الدولة العباسية، وما كان لها من دور هام في التاريخ الإسلامي غير أنه تماماً للفائدة وإكمالاً للمناهج العلمية المنوطة بالبحث سوف نذكر في عجالة تعريفاً بالدولة العباسية.

تنسب هذه إلى أبي العباس السفاح، حيث يرجع أصل العباسيين إلى العباس بن عبد المطلب عم الرسول ﷺ، استمرت هذه الدولة قرابة ٥٢٥ سنة، وكان يلقب رأس الدولة بأمر المؤمنين وحكمت هذه الدولة العالم الإسلامي من شرقه إلى غربه من مدينة بغداد التي كانت عاصمة الدولة الإسلامية، وبها أمير المؤمنين الذي يوجد منها توجهاته إلى الإمارات الإسلامية في مختلف أنحاء الإسلامي. وكان عدد الخلفاء الذين قادوا مسيرة الدولة العباسية ٣٧ خليفة بدأت هذه الدولة قوية ثم تناهت في الضعف في أواخر عهدها منها إهمال الأمور العسكرية، وقلة الحزم مع المتعصلين.

سيطرة الفرس والأتراك والبويهيون وتقربت العناصر غير العربية عليهم في الجيش والإدارة، نظام توريث وتولية العهد لأكثر من واحد ضعف

الخلفاء وتهاونهم وعدم اهتمامهم باستقلال بعض الولاة، تعرض العالم لخطرين
الخطر الصليبي من الغرب، والخطر المغولي "التتار".

(١) لمن أراد الرجوع لتاريخ الدولة العباسية والحديث عنها انظر:

١. الطبري، تاريخ الأمم والملوك.

٢. ابن الأثير، الكامل في التاريخ.

٣. ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون.

٤. المسعودي، مروج الذهب.

٥. الذهبي، تاريخ الإسلام.

- ومن المراجع الحديثة:

١. د/أحمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية.

٢. حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي.

٣. أحمد مختار العبادي، في التاريخ العباسي والفاطمي.

٤. د/ راغب السرجاني، الموسوعة الميسرة في التاريخ الإسلامي.

عند سلامة وجميل كفاية لمولاهما خالص الدعاء والشكر، وقد علمتم
أسعدكم الله تشاغلي بجهاد أعدائي، وأعداء الله الكفرة وسبيلهم^(١) وقتلي فيهم،
وأخذي أموالهم، وتخريبي ديارهم وقد بلغم خبر القوانين، في هذه السنة، وما
أولانا الله وخولناه، وأظفرنا به واستعملت فيهم السنة في قتال أهل الله، فما

(١) لعل المقصود بها سبيلهم.

اتبعت مدبراً ولا دفعت إلى جريح حتى سلم من قد رأيتم^(١). وقد تقدمنا إلى وشاح بن تمام بصيانتكم، وحفظكم، وحوط أموالكم وفتح الدكاكين وإقامة الأسواق والتصرف في المعاش إلى حين موافقتنا إن شاء الله^(٢).

فلما وصلت نسخة هذا الكتاب إلى الإخشيد عزم أن يسير بنفسه للقضاء سيف الدولة فاستخلف على مصر ابنه أونوجور، وسار على رأس جيشه إلى دمشق، وكان سيف الدولة قد دخلها بجنده.

٣. أساس العلاقة:

تبدو العلاقة بين الدولة الحمدانية والخلافة علاقة مترددة بين الرضا والسخط فتكون أحياناً علاقة طيبة، وأحياناً أخرى سيئة وهذا ما ستبينه السطور التالية:

أ- تحالف الحمدانيين ضد الدولة العباسية:

لم يدخل حمدان بن حمدون صميم السياسة ضد الدولة العباسية إلا عندما تحالف، مع هارون الشاري الخارجي، ودخلا الموصل فاتحين سنة ٢٧٢هـ، وظل حمدان حليفاً لهارون الخارجي حوالي عشرة أعوام خاض فيها عدة حروب كان أهمها تلك التي وقعت ضد بني شيبان وكان النصر فيها للخوارج، وحليفهم حمدان بن حمدون، ولكن الأمور لم تسر على هذا المنوال

(١) إشارة إلى ما فعله سيف الدولة في الرستن حين أمر جنوده ألا يقتلوا أحداً من الجيش الإخشيدي المنهزم، وقال لجنده، الدم لي والمال لكم ثم أطلق سراح الأسرى وعددهم نحو أربعة آلاف أنظر سيدة الكاشف مصر في عصر الإخشيديين نقلاً عن ابن العريم بقية الطلب في تاريخ حلب ص ٦٨.

(٢) سيدة الكاشف، مصر في عصر الإخشيديين نقلاً عن ابن ٢٢٢ المغرب ص ٤١، ٤٢.

طويلاً، فقد اضطر الخليفة المعتضد إلى أن يعالج الأمر قبل أن يستفحل، وخاصة بعد أن دعا هارون الخارجي لنفسه بالموصل^(١).

مشار إليها سنة ٢٨١هـ غير أن حمدان حرب من قلعة تاركاً عليها ابنه الحسين الذي سلمها دون مقاومة، أما حمدان فقد ؟؟؟ يضرب في الأفق على غير هدى إلى أن ألقى القبض عليه أحد رجال الخليفة بعد حوالي عام من فراره فأودع السجن في بغداد^(٢).

من هذا المنطلق يتضح لنا النية المبينة من حمدان بن حمدون أن يقض في تحالفه هذا مع هارون الشاري على الدولة العباسية بحيث يخلع الخليفة العباسي، لولا يقظة الخليفة العباسي ومعالجته للأمور بالحنكة السياسية.

ظل حمدان رهين محبسه، ولم يفكر الخليفة في قتله لعل الخليفة فعل ذلك لقوة شكيمة أبنائه، وخاصة الحسين الذي كان محارباً لا يشق له غبار، ولم تسر الأمور على هذا المنوال طويلاً حتى استفحص أمر الشاري، وأخذ ينزع البلاد من الخليفة بلداً إثر بلد^(٣).

ب. الخليفة العباسي يوطد العلاقة مع بني حمدان:

أرغب المعتضد الذي يقوم به الشاري فأراد أن يوجه بقوة وعزم فلم يجد أصلب عوداً من الحسين بن حمدان فأطلقه على حليف أبيه في ثلاثمائة فارس لا غير اختارهم الحسين بنفسه، فلم يلبث أن عاد بعد قليل، وقد طوق عنق الشاري، وقدميه بقيود الأسر، فسر المعتضد لذلك سروراً كبيراً وأراد أن يكافئ الحسين فطلب الحسين ثلاث مطالب هم أن يطلق سراح أبيه، وأن يطوق

(١) مصطفى الشكعة، فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين ص ٥٤.

(٢) مصطفى الشكعة، المرجع السابق ص ٥٤.

(٣) مصطفى الشكعة، المرجع السابق ص ٥٥.

بطوق من الذهب، وأن يخلع على جماعة من رؤوس أهله، وفي رواية أخرى يطلق سراح أبيه وأن يزيل الإتاوة عن بني تغلب، وأن يثبت خمسمائة فارس منهم ينضمون إليه فأجاب الخليفة مطالبه^(١).

يتضح لنا ذكاء الخليفة العباسي في محاولة الوقيعة بين كلا القوتين وهما هارون الشاري، وحمدان بابن حمدان خليفة ليقضي عليه خصوصاً أنه وجد الساحة خصبة لذلك لأن الحسين بن حمدان يريد أن يخرج أباه من السجن، وأيضاً يقض بني حمدان من حول الشاري، فيضيق عليه الخناق فينتهي أمره، وإن لم يحدث ذلك فقد فرق التحالف، وبالتالي تضعف قوة الشاري، ويكون من السهل القضاء عليه، إلا أن هناك أمر يجب النظر فيه هو مطالب الحسين بن حمدان وخصوصاً الثالث منها سواء الرواية الأولى أو الثانية فإنه أراد من ذلك أ يقوى شكيمته قبيلته والتي ستكون معيناً له بع ذلك سواء إمداده بـ ٥٠٠ فارس يكون بهم قوياً، أو رفع الإتاوة عن أهله، وبالتالي يكونوا أقوياء من الناحية المادية، فتقوى أمورهم ولا يستطيع أحد الوقوف في وجوههم.

ج. الحمدانيون مع الدولة العباسية ضد القرامطة:

ازدادت قوة القرامطة في الشام واحتلوها في عام ٢٩٠هـ، وكان زعيم يسمى يحيى أو يلقب بالشيخ، فلما قتل في إحدى المعارك قام أخوه، واسمه الحسين، وسمى نفسه أحمد أباً العباس، وكان يلقب بصاحب الشامة وصار إلى دمشق، وأخذ منها الخراج ثم صار إلى أطراف حمص، وخطب له على منابرها، وتسمى بالمهدي أمير المؤمنين، وظل القرامطة يعثو في الأرض

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك ط ليند أحداث سنة ٢٨٢هـ ابن الأثير، الكامل في التاريخ ط ليند ج ٧ ص ٣٢٩.

فساداً، ويقتلون النساء والأطفال، فخرج لهم المكتفي بنفسه من بغداد قاصداً الشام عن طريق الموصل فهزم بالقرب من حلب ثم ما لبث أن انتصر عليهم في موقعة أخرى حيث قتل من جيشهم جند وهرب الباقي إلى البادية، وتبعهم الحسين بن حمدان حيث أسر صاحب الشام سنة ٢٩١هـ^(١).

لقد كان الحسين بن حمدان لا يكل من حرب القرامطة فقد حاربهم مرات بعد ذلك في الأردن والشام وانتصر عليهم في عامي ٢٩٣هـ/٢٩٤هـ فقد دوخ القرامطة وأعمل فيهم سيفه حتى ارتوى من دمائهم^(٢).

د. محاولة آل حمدان خلع الخليفة العباسي:

بلغ الحسين بن حمدان منزلة عظيمة في الدولة العباسية إلا أن هذه المنزلة لم تأت من فراغ، فكان شجاعاً، وفارساً وقائداً لا يشق له غبار فأكرمه الخليفة العباسي، وأصبح من أكبر قواده، ولكن عندما بدأ الخليفة العباسي تفقد استقرارها بسبب الدسائس والمؤامرات من قبل الفرس والأتراك^(٣).

ولذلك قام جماعة ومعهم الحسين بن حمدان واشتركوا في خلع الخليفة المعتذر سنة ٢٩٦هـ، وجاءوا بابن المعتز لكي يكون خليفة للمسلمين غير أن الخليفة الجديد كان سيء الحظ، فقد قبض عليه بعد ذلك بقليل، وعاد المعتذر إلى كرسي الخلافة، وطلب ابن حمدان فقيلاً له: أنه توجه إلى الموصل فأرسل الخليفة إلى أخيه أبي الهيجاء بن حمدان، فاقتتل مرتين دون أن يتمكن من القبض عليه، ولعله تظاهر بذلك^(٤).

(١) مصطفى الشكعة، المرجع السابق ص ٥٦.

(٢) مصطفى الشكعة، المرجع السابق ص ٥٥.

(٣) مصطفى الشكعة، المرجع السابق ص ٥٨.

(٤) مصطفى الشكعة، المرجع السابق ص ٥٨.

فأرسل الحسين إلى الوزير ابن الفرات ليشفع له عند الخليفة، فقبلت شفاعته، وعاد إلى بغداد، ولعل من أسباب عفو الخليفة عنه هو ما لمسه من شجاعته- ومنعه وسابقات فضل له في نصر الخليفة^(١).

ومن العجيب أن يشترك أخوه أبو الهيجاء عبد الله بن حمدان في خلع المعتذر مرة ثانية سنة ٣١٧هـ فيفشل وتضرب رأسه^(٢).

لعلنا نلاحظ من خلال السطور السابقة أن الحمدانيين كانوا دائماً يتحينون الفرص للقضاء على الدولة العباسية، ويأتوا بمن يريدون دون حاجة تؤدي إلى ذلك، فقد أكرمهم الخلفاء العباسيون وقلدتهم المناصب في الدولة أي لم تقع عليهم أي ظلم من قبل الخليفة العباسي فماذا يريدون.....؟.

هـ. أبناء آل حمدان في مناصب الخلافة العباسية.

كان لحمدان بن حمدون خمسة أبناء هم أبو العلاء سعيد، وإبراهيم، والحسين، وقد تقلدوا أكثر من المناصب، في داخل بغداد وخارجها، ولاشك أن هؤلاء الرجال كانوا على جانب كبير من الذكاء، وحسن الفهم لسياسة الدولة، فكانوا يبسطون سلطانهم على الخليفة بسطاً تاماً، فإذا ما لاحظوا خطراً يحيق بهم بدعوا يتراجعون، ولقد دخلوا السجن مرات كثيرة^(٣).

بل كثيراً ما دخلوا دفعة واحدة كما حدث سنة ٣٠٣هـ لخروج كلا من الحسين وأبي الهيجاء على الخلافة، ومحاربة جيوشها، وقد ظلوا في السجن مدة عامين كاملين^(٤).

(١) مصطفى الشكعة، المرجع السابق، ص ٥٨.

(٢) مصطفى الشكعة، المرجع السابق، ص ٥٨.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ ج ٧ ص ٢٧١.

(٤) ابن الأثير المصدر السابق ج ٨ ص ١٤٧، ١٤٨.

يقول الدكتور مصطفى الشكعة^(١): "إذا تتبعنا هؤلاء الرجال الحمدانيين في تلك الفترة من الزمان وجدناهم يحتلون مناصبهم في كثير من الولايات بحيث يحيطون بالدولة إحاطة تامة فالحسين يتولى ديار ربيعة ثم يتولى بعد ذلك قم^(٢)، وقاشان^(٣)، في أقصى خراسان^(٤)، وقبيل هذه الحقبة يفتح فارس، ولا يقيم بها غير مدة مقبرة، وهو إذا احتل مصر بعد انتصار، على الطولونيين لا يلبث فيها إلا تقدر ما يجمع من الأموال ثم يترك عليها أحد أنصاره.

وهذا أبو العلاء سعيد يتولى أمر نهاوند سنة ٣١٢هـ والموصل في سنة ٣١٧ إلى ٣١٩هـ وأما داود فيتولى ديار ربيعة سنة ٣٠٩هـ وما بعدها، وأبو الهيجاء عبد الله يتولى أمر الموصل بعد أبي العلاء ويحاول أن يستقل بها حنباً بعد حين ثم يمهد أموره مع بغداد ثم لا يلبث أن يعود إلى سابق عهده وهكذا.

فأبناء حمدان، كما هو واضح يحتلون مراكز هامة في أمصار غنية، وهي في نفس الوقت لا يقطعون صلتهم، ببغداد، وكأنهم اتفقوا على أن يكون واحد منهم دائماً بمقر الخلافة حتى يكشف لهم ما استقر من الأعيب الحاشية، وحيل محترفي الفتن إتاوة القلاقل حتى يكونوا على علم متواصل بمجريات الأمور، وحتى لا تمر فتنة دون أن يستفيدوا أو يحدث انقلاب دون أن يغنموا.

(١) د/مصطفى الشكعة، يرجع سابق ص ٥٩.

(٢) مدينة هي إحدى المدن الإسلامية في إيران والحوزة العلمية في قم تعتبر ثاني أهم المراكز العلمية الدينية للشيعنة تقع على بعد ١٤٧ كم جنوب العاصمة طهران.

(٣) قاشان: إحدى المدن الإيرانية التي يتواجد بها حديقة فين وبها قبر أبو لؤلؤة المجوس الذي قتل الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب.

(٤) خراسان: إقليم كبير قديم يشمل إيران وأفغانستان وبعض مناطق آسيا الوسطى.

ع. إمرة الأمراء في بني حمدان:

كما سيتضح في علاقة الدولة مع البريديهين حيث التجأ الخليفة العباسي إلى الحسن في الموصل فقتل أمير الأمراء ابن رائق ونصب نفسه في هذا المنصب الخطير، واتجه إلى بغداد في جيش كبير لاستردادها من البريديين^(١).

في سنة ٣٣٤هـ سقطت بغداد تحت وطأة بني بوية بقيادة معز الدولة الذي أمكنه أن يزلزل عرش ناصر الدولة أكثر من مرة فأزاحه عن الموصل في أعوام ٣٣٧هـ/٣٤٧هـ، وفي المرة الأخيرة توسط سيف الدولة فقبلت وساطته^(٢).

غ. وقوف الحمدانيين مع العباسيين ضد البويهيين:

على أثر خلع الخليفة المستكفي، ومبايعة المطيع لله، جهز ناصر الدولة جيشاً كبيراً لقتال معز الدولة، وطرده من بغداد لأنه ساءه استيلاء معز الدولة على بغداد، وخلعه المستكفي، وسلبه حقوق الخلافة^(٣).

فبلغ ذلك معز الدولة فجهز جيشاً وأرسله علاقته بقيادة موسي بن قباء وبنال كوشه^(٤)، والتقي الجيشان وانتصر ناصر الدولة وتقدم مكبلاً^(٥).

فاضطر معز الدولة إلى تجهيز جيش قاده بنفسه وأخذ معه الخليفة المطيع لله فحدثت بين الفريقين حروب شديدة، وبالتالي انقسمت المدينة إلى

(١) ابن مسكويه، تجارب الأمم ج ٢ ص ٢٦، ٢٧- د/إبراهيم سليمان البويهيون والخلافة العباسية مكتبة العروبة للنشر والتوزيع ط ١٩٨١م.

(٢) د/إبراهيم سليمان المرجع السابق ص ١٥١.

(٣) مسكويه تجارب الأمم ج ٢ ص ٨٩- ابن الأثير الكامل ج ٨ ص ١٧٨.

(٤) ابن الأثير، الكامل ج ٨ ص ١٧٨.

(٥) مسكويه، تجارب الأمم المصدر السابق والجزء والصفحة.

شطرين^(١) الجانب الشرقي في قبضة أبناء حمدان والجانب الغربي بقيادة معز الدولة البويهى.

ودارت بين الفريقين عدة معارك هائلة داخل المدينة دامت أياماً إلى أن أوقع أبو عبد الله الحسين بن سعيد بن حمدان بعسكر معز الدولة في الماء فعرق منهم السفن، وملك السفن التي كانت معهم^(٢).

وليس المهم هنا هو سرد الأحداث التي جرت بين الحمدانيين والبويهيين ولكن المهم إلقاء الضوء على ما حدث بين الفريقين تجاه الدولة العباسية.

- المبحث الثاني:

العلاقة بين الدولة الحمدانية والدولة الإخشيدية ٣٢٤هـ

١. تمهيد:

سوف نتحدث في هذه الجزئية عن علاقة الدولة الحمدانية بالإخشيدية والتي كانت تصاب بالعنف والصراع بين الطرفين دائماً، وتعود إلى رشدتها في أغلب الأحيان.

٢. تعريف بالدولة الإخشيدية:

تأسست سنة ٣٢٤هـ واستمرت حتى سنة ٣٥٨هـ ومؤسسها هو محمد بن طفج الملقب بالإخشيد، ومعناها ملك الملوك، وهو لقب يطلق على ملوك فرغانة، وهي إحدى بلاد ما وراء النهر التي تنضم بلاد التركستان^(٣).

(١) مسكوية، تجارب الأمم ج ٢ ص ٩٠.

(٢) مسكوية، تجارب الأمم ج ١ ص ٩٠.

(٣) القلقشندي: صبح الأعشى.

وكانت علاقة الإخشيديين بالخلافة علاقة ولاء كامل حتى أن محمد بن طفج عرض على الخليفة العباسي المتقي بالله أن ينتقل إلى مصر ويجعلها مقراً للخلافة، ولكن الخليفة رفض^(١).

وبالجملة فقد كان ولاية هذه الدولة متدينون، فكان بلاد الإخشيديين مجمعا للعلماء والأدباء^(٢) فقد انتقل الشاعر المتنبّي لبلاط الإخشيد^(٣).

وقد ازدادت البلاد ثراءً في عهد الدولة الإخشيدية ففي عهد محمد بن طفج بلغ مليونين من الدينار في السنة، وفي عهد كافور بلغ الخراج ٣,٢٧٠,٠٠٠ دينار^(٤).

لما توفي محمد بن طفج سنة ٣٣٤هـ تولى مكانة ولده أبو القاسم أنوجور، مكان صغيراً لم يتجاوز الرابعة عشرة من عمره، فكان كافور يدبر الأمر، وبعد ذلك عظم أمر كافور وسيطر على الدولة في عهد أبي القاسم ثم في عهد أخيه أبي الحسن ثم في عهد ابنه أحمد الذي استصدر كتاباً من الخليفة بتولي إمرة مصر حتى توفي سنة ٣٥٧هـ^(٥).

وبعد وفاة كافور اختار أمراء الجيش أحمد بن علي بن الحسن والياً، ولما كان صغير السن فقد عين وصياً عليه والي الشام الحسن بن عبيد الله فاستبد بالأمر، ثم اضطر أن يعود إلى الشام، وجاء الفاطميون فدخلوا مصر^(٦).

(١) أحمد مختار العبادي: في التاريخ العباسي والفاطمي.

(٢) سيدة إسماعيل الكاشف، مصر في عصر الإخشيديين.

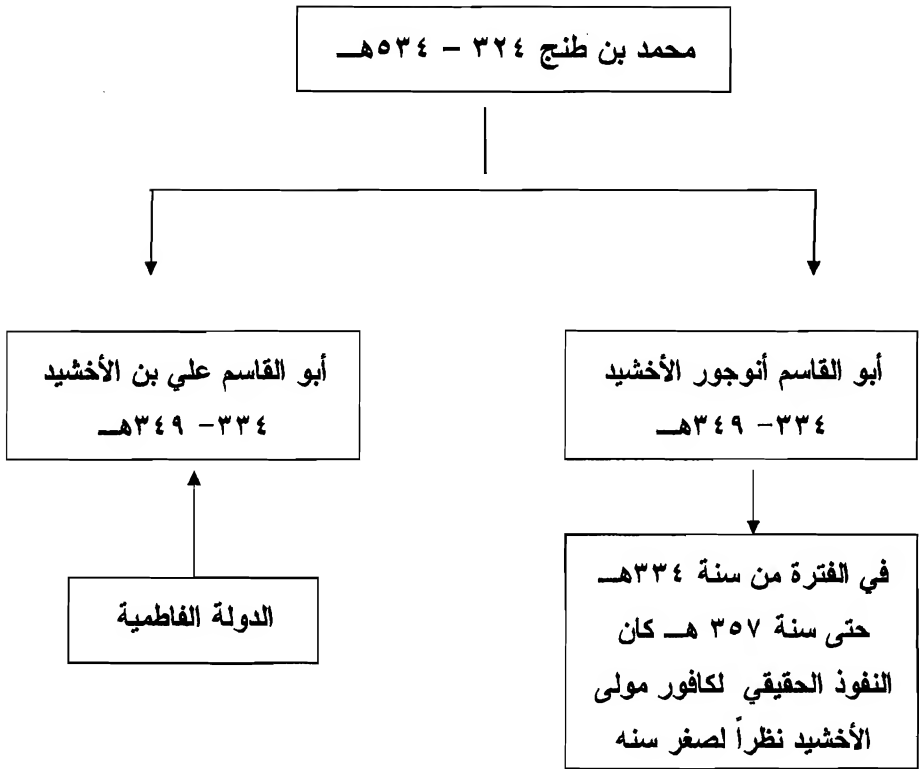
(٣) سينكر هذا تفصيلاً في الحياة الفكرية الموضوع الأساسي للبحث لأن هذا ليس مكانه.

(٤) آدم قنر، الحضارة الإسلامية.

(٥) المسعودي، مروج الذهب.

(٦) سيدة الكاشف مصر في عصر الإخشيديين.

وهذا رسم بياني بالأمراء الذين تولوا الدولة الإخشيدية:



٣. أساس العلاقة:

شاب العلاقة بين الطرفين كثير من الصراعات، والهدوء، ولكن سرعان ما تندثر هذه الأشياء، ومن خلال النقاط التالية تتضح حديثا العلاقة.

أ. بداية العلاقة بين الطرفين:

بدأت هذه العلاقة عندما غادر الخليفة المتقي بغداد، وأقام عند الحمدانيين سنة ٣٣٢ هـ^(١) ثم استدعى الإخشيد لمقابلته في مدينة الرقة لعله يجد فيه عوناً على أمير الأمراء في بغداد، وهذا اللقاء لم يسفر عن أي نتيجة

(١) ابن الأثير، الكامل ج ٨ ص ١٤٤.

إيجابية فعاد الإخشيد إلى مصر، وكان سيف الدولة يراقب الحال عن كثيب، ورأي أن الفرصة سانحة لمحاولة الاستيلاء على الشام لانتزاعها من أيدي الإخشيديين مضار إلى حلب، وقنسرين، وحمص، وأنطاكية، والثغور الشامية وسائر الولايات والمدن الشامية، فاستولى عليها، وأقام الدعوة فيها للمستكفي الذي خلف المتقي، ولأخيه ناصر الدولة، ولنفسه^(١).

وقيل في هذا الصدد إن الإخشيد عاد من الرقة إلى حلب ثم غادرها إلى مصر بعد أن ولى عليها من قبله أبا الفتح عثمان بن سعيد بن العباس بن وليد الكلابي، ولكن عثرته مع الكلابيين حسدوه على هذه الولاية وراسلوا سيف الدولة بن حمدان ليسلموا إليه حلب، وكان سيف الدولة قد طلب من أخيه ناصر الدولة ولاية، فقال له ناصر الدولة: الشام أمامك، وما فيه أحد يمنعك منه، وعرف سيف الدولة اختلاف الكلابيين وضعف أبي الفتح عن مقاومته، فسار إلى حلب، ودخل أبو الفتح في طاعته^(٢).

فكتب الإخشيد إلى المستكفي يشكو إليه سيف الدولة، ولكن أمير المؤمنين لم يملك إلا أن يرسل الخلع النفيسة إليه وإلى ابنه أونوجور^(٣).

ويتضح لنا مدى الضعف الذي وصلت إليه الخلافة العباسية حيث أنها لن تستطيع قبح زمام الأمور، ولا توقف كلا الطرفين عند الحد المسموح به للولاء والطاعة للخلافة بل أصبحت الدعوة على المنابر اسماً فقط لكي يأخذ كل دولة من الدول المستقلة صفة الشرعية، وهذا حدث بالفعل ما فعله سيف الدولة ليكسب الخلافة في صفه دعا للخليفة الذي أراد أن يرفي الطرفين،

(١) ابن سعيد، السفر الرابع من كتاب المغرب في حلى المغرب ليدن ١٨٩٩م.

(٢) كمال الدين عمر بن العريم الحلبي بقية الطلب في تاريخ حلب ص ٣٦٥ - ٣٦٧.

(٣) انظر الكندي: الولاة والقضاء ص ٢٩٢، المقرئ، الخط ج ١ ص ٣٢٩، أبو المحاسن النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢٥٥.

ويتركهما يتناحran فمن تكون له الغلبة سواء الحمدانيين أو الإخشيديين فهو خاضع اسماً للدولة العباسية ويدعوا للخليفة على المنابر.

ب. الصراع بين سيف الدولة والإخشيد:

علم الإخشيد أن سيف الدولة سار إلى حمص يريد دمشق فأرسل إلى الشام جيشاً^(١) مر بدمشق، وسار إلى حمص فالتقي بسيف الدولة عند بلدة الرستن^(٢)، وكان النصر لسيف الدولة، وتقهقر الجيش الإخشيدي إلى دمشق ثم خرج منها قاصداً الرملة ليعود إلى مصر، وصار سيف الدولة في أثر الجند المصريين يريد دمشق، وكتب إلى أهلها كتاباً قرئ على منبر المسجد الجامع فيها، وحملت نسخته إلى الإخشيد، وهذا نصه:

"بسم الله الرحمن الرحيم: من سيف الدولة أبي الحسن إلى جماعة؟؟ والعلماء، والأعيان، والمستورين، بمدينة دمشق أطل الله بقاكم وأدام عزكم وسعادتكم، وكفايتكم، ونعمتكم، كتابنا إليكم من المعسكر المنسوب بظاهر عين الجر^(٣) ومعه أهله^(٤) ويبدو أن أحد قواد الإخشيد، واسمه عيسى كيل كان قد انضم إلى سيف الدولة، واتصل به في دمشق، فكتب الإخشيد من الرما إلى عيسى كيل، يعده بالأموال الطائلة، والمكافأة الطيبة، ويمنيه ويحضهم على الترحيب به، وطرد سيف الدولة، والطريف أن عيسى هذا شرب وسكر، ودعا

(١) انظر الكندي: الولاة والقضاة ص ٢٩٢، المقرئ للخطط ج ١ ص ٣٢٩، أبو المحاسن النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢٥٥.

(٢) عند المكان الذي يعبر فيه نهر العاصي الطريق من حمص إلى حماة انظر ياقوت معجم البلدان ج ٤ ص ٢٤٩.

(٣) موضع بين بعلبك ودمشق ياقوت معجم البلدان ج ٦ ص ٢٥٤.

(٤) في بعض الروايات أنه حاصر فقط، ولم يفلح في دخولها انظر سيده الكاشف المرجع السابق نقلاً عن ابن العبري تاريخ مختصر الدول ص ٢٨٩.

الناس إلى الإخشيد^(١) ثم أفاق وأفلح في دخول دمشق، بعد أن فرقها سيف الدولة^(٢) وطارد الإخشيد سيف الدولة إلى حمص، فقنسرين حيث نشب القتال بينهما، وكان النصر في البداية لسيف الدولة لكن نصره انقلب إلى هزيمة^(٣). ومع ذلك فإنه لم ينصرف بل عسكر مواجهاً للإخشيد.

ج. المصاهرة السياسية بين الحمدانيين والإخشيديين:

جنح الإخشيد للسلم، وعلم على الصلح، وقد كان الحسن بن طاهر سفيراً بين الأميرين، وتم الصلح بينهما في ربيع الأول سنة ٣٣٤هـ على أن يكون لسيف الدولة من جوسيه^(٤) إلى حمص إلى سائر أعمالها وأن يكون للإخشيد من دمشق، وما بين يدها إلى آخر أعمالها، وزوجه فاطمة بنت أخيه عبيد الله بن طفج^(٥) وسار سيف الدولة إلى حلب، واستقر الإخشيد في دمشق إلى أن مات سنة ٣٣٤هـ^(٦).

والرأج أن الإخشيد سعى إلى عقد الصلح مع سيف الدولة لأنه كان يعتقد أن انتصاره عليه لم يكن حاسماً وأن الحرب بينهما ستدوم إلى أن يتم النصر لسيف الدولة، وكان قواد الإخشيد، وجنده بكرهون هذا الصلح، ويودون

(١) سيدة الكاشف المرجع السابق مقلداً عن ابن سعيد المغرب ص ٤٢.

(٢) قيل إن سيف الدولة قد غادرها فترة قصيرة للقاء الأعراب الضاربين حولها وأنه لما عاد إليها منعه أهلها من دخولها، وربما كان ذلك بتأثير عيسى بن كيل انظر سيدة الكاشف نقلاً عن ابن العريم: بقية الطلب ص ٣٦٩.

(٣) انظر وصف هذه الموقعة كما ذكرتها لنا سيدة الكاشف في كمال الدين بن العميد المرجع السابق ص ٣٦٩.

(٤) بلدة على بعد خمسة وثلاثين كيلومتر إلى الجنوب الغرب من حمص.

(٥) وقالت سيدة الكاشف نقلاً عن ابن سعيد إن فاطمة هذه ابنة الإخشيد ولكنها ابنة أخيه عبيد الله كما ذكر ذلك كمال الدين بن العريم بقية الطلب ص ٣٧٠.

(٦)

مواصلة القتال للقضاء على سيف الدولة، وقد طلبوا من شيخ الشيوخ دمشق كان الإخشيد يأنس به أنه يلومه على حق على ما تم بينه، وبين سيف الدولة من الصلح والمصاهرة، فلما حدثه الشيخ في ذلك أجابه بقوله "أعلم أن علي بن حمدان (سيف الدولة) كاتبناه من الرملة فبذلناه فلم يفعل، وكاتبناه من طبرية فامتنع ثم سرنا إليه، ورزقه الله تعالى النصر عليه، وعلى أصحابه فلم ينصرف، وخيم حذاءنا بوجد ضعيف وقلت حياء فتوقعت عنه فقال لي الغلمان: دعنا نمض تلقاء.

ففكرت في قولهم ولم أخل من أحد وجهيتين: إما أن يهزمنا ويرزق علينا النصر فتكون الفضيحة، وإما أن نرزق عليه النصر فأيش أعمل به؟ هلا هو أكثر من انزله في مضرب يشبهه، وانفق عليه ما يصلح له تم أجهزه وأرده لأخيه وأهله لأنهم لا يتركونه وأقل ما كان يكفينا له مائتا ألف دينار فرأيت أن مسالمته، ومصالحته أفضل وأصلح^(١) وأرسلت إليه الحسن بن طاهر أعده بالأموال، والخروج عن أعماله، فلما رأوا الحسن بن طاهر مضى ازدحموا عليّ يسبولي، ويشتمون ويسألون الله الراحة مني^(٢).

ومن خلال هذا يتضح لنا أن الإخشيد كان بعيد النظر لأنه لا يلقي بنفسه في مغامرات يعرف أنها لا تؤدي إلى نتائج. فكان يؤثر أن ينال بالمال ما يعجز عنه الحصول بحد السيف، وكان يعلم أن النزاع بينه وبين الحمدانيين على الشام لابد أن ينتهي بانتصارهم عليه لبعد المسافة بين مصر والشام، فكانت الشام المكان الخصب لتوسيع الحمدانيين، ويحتمل أيضاً أن الإخشيد كان

(١) كان الحمدانيون يعرفون ذلك حق المعرفة، وحسبنا قول شاعرهم فراس الحمداني:

فلما رأي الإخشيد ما قد أظله تلقاه يتبني غربه و؟؟؟
رأى الصهر والرسول الذي هو عامد ينال به ما لا تنال العساكر

انظر سيده الكاشف نقلاً من ديوان أبو فراس الحمداني ج ٢ ص ١١٧، ١٤١.

(٢) انظر سيده الكاشف نقلاً عن ابن سعيد المغرب ص ٤٣.

يرد أن يجعل الحمدانيين حازر بينه وبين البيزنطيين، لا يتعرضوا له بين وقت وآخر.

د. التوتر بين الطرفين:

لما مات الإخشيد، وخلفه ابنه أونوجور، وصار كافور بجند مولاه من الشام إلى مصر خلت دمشق من حامية قوية ترد عنها الحمدانيين، وطمع فيها سيف الدولة فاتجه إليها قسفت في يده، بعد أن استسلم إليه حاكمها الإخشيدي، وقيل إن سيف الدولة كان يسير يوماً بظاهر دمشق، ومعه كبير من وجوه القوم فيها اسمه الشريف العفيفي فقال له سيف الدولة، وما تصلح هذه الأرض إلا لرجل واحد، فقال له الشريف حي لأقوام كثيرة، فقال له سيف الدولة: لئن أخذتها القوانين ليتبرؤون منها^(١) فأسرهما الشريف في نفسه، وأعلم أهل دمشق بذلك، وألح سيف الدولة في مطالبة الدمشقيين بودائع الإخشيد فكانتوا كافوا يستدعون^(٢).

فجاءهم ومعه سيده أونوجور، وخرج سيف الدولة إلى اللجون^(٣) وأقام قريباً من معسكر الإخشيديين ثم نشب القتال بين الجيشين، وكان النصر للمصريين فتقهقر سيف الدولة، وأعاد تنظيم جيشه وكان النصر له في البداية، ولكنه انهزم وتفرقت جيوشه^(٤).

(١) الهامش هذا كتب بالخطأ في الصفحة السابق.

(٢) سيدة الكاشف مصر في عصر الإخشيديين نقلاً عن ابن الأثير: الكامل في التاريخ ج ٨ ص ١٦٤،

وكمال الدين بن العريم بقية الطلب ص ٣٧١ - ٣٧٢.

(٣) بلدة تقع في الجنوب الشرقي من حيفا.

(٤) سيدة الكاشف نقلاً عن النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢٩١ - ٢٩٢.

هـ. الهدوء بين الطرفين:

ساد الهدوء النسبي بين الطرفين، وبدأت المفاوضات التي انتهت إلى الشروط التي كانت بين سيف الدولة والإخشيد^(١) ولكن يبدو أن الإخشيديين لم يقبلوا هذه المرة أن يدفعوا جزية سنوية لسيف الدولة عن احتلالهم دمشق^(٢)، وعاد أرنؤجور وكافور إلى مصر بعد عقد الصلح، وظل السلام قائماً بين سيف الدولة، والإخشيد منذ سنة ٣٣٦هـ^(٣).

يتضح لنا مدى الطموح الذي كان عليه سيف الدولة حيث كان يتحين الفرصة المناسبة لكي يهيمن على الشام بأكمله، فلما علم بموت الإخشيد ظن أن الساحة، قد خلت له وأصبحت بلاد الشام له بدون منازع، فأراد أن يقوى جيشه من خلال أخذ ودائع الإخشيد فيكون بذلك قد ضرب عصفورين بحجر واحد ألا وهو المال الذي يقوى به، والجنود من خلال توسيع رقعة دولته على حساب الآخرين، فوجدنا أن كافور لم يكن بأقل حنكة من سيده الإخشيد في سياسته فأخضع سيف الدولة بداية بالقوة، والتي لم تطل أيضاً بل هب إلى الصلح لينهي التوتر بين الطرفين، ولكن هذه المرة لم يكن يدفع أموال بل على البنود التي كانت بين سيف الدولة والإخشيد.

وأخيراً يتضح لنا أن العلاقة بين الطرفين كانت متغلبة حيث أن الحمدانيين كانوا ينتهزون فرصة بعد الإخشيد ويحاولون الهيمنة على الشام غير أن الإخشيد، وخلفاءه كانوا يستردونها بنكاء منقطع النظير، وفي نفس الوقت يترك سيف الدولة لحماية الحدود الشمالية من البيزنطيين، فيكفي نفسه شر ذلك ويلتفت هو للأمور الداخلية، في الوقت الذي يحاول فيه سيف الدولة أن يكون

(١) سيدة لكاشف نقلاً عن أبو المحاسن النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢٩١ - ٢٩٢.

(٢) سيدة الكاشف نقلاً عن كمال الدين بن العريم بقية الطلب ص ٣٧٣ - ٣٧٤.

(٣) سيدة الكاشف مصر في عصر الإخشيديين ص ٣٥٥.

حامي الحما والذي يرد غزو الروم، ويظهر أمام الدولة العباسية بأنه هو المدافع الوحيد عن الإسلام ضد الروم، وهذا له، وبالتالي يكون قد كسب جميع الأطراف، ويسطر له التاريخ حروبه ضد الروم، فقد غز ضد الروم أكثر من ٤٠ غزوة.

- المبحث الثالث:

علاقة الدولة الحمدانية بالبريديين (٣١٦هـ/٣٣٧هـ)

١. تمهيد:

لم تكن هناك ثمة علاقة واضحة بين الدولة الحمدانيين والبريديين وإنما لم تحيك الحمدنيون بالبريديين إلا من خلال الدولة العباسية.

٢. التعريف بالبريديين:

يقول المنجد في الأعلام واللغة^(١).

"البريديون: اسم لثلاثة أخوه كان أبوهم صاحب البريد في البصرة لعبوا دوراً خطيراً أيام المقتدر وخلفاءه "أي الخلفاء الذين جاءوا بعده" حيث استمرت وعصيانات البريديين قرابة الأربعة عاماً، وتمردوا وشقوا عصا الطاعة على ستة من الخلفاء، وهم المقتدر، والقاهر والرافعي، والمتقي، والمسنكفي ثم المطيع لله وبدعوا أول عصيانهم في زمن الخليفة المقتدر (٢٩٥ - ٣٢٠هـ) استمرت حروبهم مع جيوش الخلافة حتى أيام الخليفة المطيع لله (٣٣٤هـ/٣٣هـ) تشب أحياناً، وتخفت أحياناً.

فقد كبدوا الدولة العباسية الكثير من الخسائر سواء في المال أو الأرواح.

٣. أساس العلاقة بين الحمدانيين والبريديين:

لم تكن هناك علاقة مباشرة بين الحمدانيين والبريديين، إلا من خلال قضاء الدولة الحمدانية على البريديين لنصرة الدولة العباسية ولذا سوف نقوم

(١) المنجد في الأعلام واللغة للويس ملفوف اليسوعس في اللغة المعاصرة ٢٠٠٠ مأخوذ من الموقع على الإنترنت.

بربط هذا بعلاقة البريديين بالدولة العباسية، وهذا ما سوف توضحه السطور التالية حتى يطلع القارئ على هؤلاء البريديين، وسبب محاربة الدولة الحمدانية لهم.

أبداية ظهور البريديين السياسي:

يتبادر إلى الذهن سؤال ألا وهو كيف تدخل هؤلاء البريديون في السياسة على الرغم من أنهم من الكتاب، وليسوا من أصحاب السيوف أي لم يكونوا قادة عسكريون.

كان هذا مهياً بعد مقتل الخليفة المقتدر سنة ٣٢١هـ فرصة لتحقيق طموحاتهم السياسية لم تكن حركة استقلالية عن الخلافة مثلما حدث في بعض الولايات التي تغلب عليها القادة العسكريون، ولكن الظروف، والأحداث الجسام التي عاصروها، وهاجي التي جرت إلى تجريد الجيوش، وخوض الحروب خفاظاً على مصالحهم، وكثر فعل ضد هيمنة الجند الأتراك^(١).

كما ظلوا في أوج تألقهم يحتفظون بعلاقات طيبة مع الخليفة بل إن أبا عبد الله البريدي قدم أيام الخليفة القاهر ٢٥٠ ألف دينار لمساعدتهم في القضاء على المتمردين ضد الخلافة^(٢).

واستطاع أبو عبد الله البريدي أن يستميل أحد المتمردين وهو ابن رائق، ويعيده إلى صف الخلافة، ويتوسط في تعيينه متولياً للبصرة^(٣).

(١) د/ تحسين حميد مجيد، تاريخ البصرة من مقتل المتوفى حتى التسلط البويهي نقلاً عن محمد حلمي الخلافة العباسية ص ١٢٤ - ١٢٥.

(٢) ابن مسكويه، تجارب الأمم، وتعاقب الهمم طبعة لبنان ١٩١٧ ج ١.

(٣) المصدر السابق، ج ١ ص ٢٥٦.

وبهذا عمل ابن رائق ما لم يكن في الحسبان حيث فرض شروط على الخليفة حيث يتكفل بأرزاق الجند، ومصاريف الخلافة، على أن يكون أميراً للأمرء، فرد إليه الخليفة رئاسة الجند، ودعا له على المنابر، وبالتالي تحولت الإدارة إلى جند الترك^(١).

ويتضح من ذلك أن لبريديين أرادوا كسب ولائهم للسلطة العباسية من ناحية، ومن ناحية أخرى ضم أحد المتمردين حيث يكون عوناً لهم ويساندتهم لأنهم وضعوا في اعتبارهم أن المال وحده لم يكن كافياً بل لابد له من سلطة تحميه، وتسندة من خلال تقريبهم من أمير الأمرء في بغداد، والذي بيده كل شيء حيث يسندة بالمال فيكون أمام الخليفة كفته راجحة على أن تكون منزلتهم عنده كبيرة.

ب. النزاع بين البريديين وابن رائق:

حاول ابن الرائق القضاء على البريديين حيث أرسل جيشاً يصحبه بجكم التركي استطاع أن ينتزع من أبي عبد الله البريدي الأحواز وأشرف على دخوله مدينة البصرة الذي كان يدافع عنها أخواه أبو يوسف، وأبو الحسين، ولكن ابن رائق رجع دون أن يتحقق له ذلك^(٢).

مما اضطره أن يجدد ضمان البصرة للبريديين، ويولي شئون الحرب فيها إلى عامل من عمال الخليفة، وهو محمد بن يزيد^(٣).

(١) الدكتور/تحسين حميد مجيد، تاريخ البصرة من مقتل المتوكل حتى التسلط البويهى ص ٢٠.

(٢) ابن مسكوية، المصدر السابق، ج ١ ص ٣٥٧.

(٣) تكتب نبذه عن حياة محمد بن يزيد ولكن يكون ذلك أثناء البحث الرئيسي المصدر السابق، ج ١ ص ٣٥٧.

ومن الملاحظ لدينا أن القدر كان يلعب لعبته مع البريديين حيث أن ابن رائق لم يحالفه الحظ في القضاء على البريديين، مم وطدا قدامهم في البصرة.

ج. نقطة تحول في حياة البريديين:

رسخ البريديون أقدامهم في البصرة سنة ٣٢٥هـ، وما جاورها حيث استغل البريديون تذمر البصريين من ابن رائق، وظلمه لهم حينما كان عاملاً عليهم قبل أن يتولى إمره الأمراء، كما وجد البصريون المنشودة في شخص أسوة البريديين بعد أن وقفوا ندا خطيرتي وجه ابن رائق، وجند الأتراك، وتوسموا فيهم خيراً فلما جدد لهم هذا الضمان خرجت جمع أهل البصرة للتهنئة، وكان في مقدمة هذه الجموع وجهاء أهل البصرة المعروفين، وهو أبو الحسين بن عبد السلام الهاشمي^(١)، فهناً أبا عبد الله، وأبا يوسف البريدي وأشار عليهما على البصرة، وإنقاذ العساكر إليها^(٢) فشكرهم على تهنئتهم، وقربهم، وأكرمهم، وقال مخاطباً لهم: ... قد أطلقتم على نيتي الجميلة فيكم، ومحبتني لصلاحكم، وكنت مستغنياً عن ضمان البصرة إذ لا فائدة لي فيها، إنما امتعصت لكم من ظلم ابن رائق، ومحمد بن يزاد خليفته وتحملت من مالي أربعة آلاف دينار في كل شهر بإيذاء ما كان يؤخذ من الشرطة والمأمير^(٣) تخفيفاً عنكم، وقد أزلت جميعها، وهذا خطي برفعها عنكم، ووقعة بذلك توقيعاً، ومسلمة إليهم، وكثر الدعاء، والضجيج بشكره وأضاف إنني قد أعددت الماء أي "السفن" أنقذ منها الجيوش لا حصن بلدكم من القرامطة، وإنما ضمنت البصرة من السلطان لظلم ابن رائق لكم، وإنني لا رجوا المغفرة بإزالة الرسوم

(١) نبذة مختصرة عنه، ستأتي في أثناء البحث الأصلي.

(٢) الدكتور تحسين حميد، تاريخ البصرة ص ٢٤.

(٣) المأمور: المأمور: هو الحاجز الذي يمد على طريق النهر ليؤخر به السفن والسالبة ليؤخذ به السقف والسالبة ليؤخذ منهم

الجائزة عنكم ثم قال لهم: إنه سيبلغ هذا ابن رائق، وإنني لأرجو المغفرة بإزالة الرسوم الجائزة عنكم.

ثم قال لهم: إنه سيبلغ هذا ابن رائق، فينكره، ويوحشه في، ويصير سبباً للعداوة بيني وبينه، والله ما أبالي أن أخوأي في صلاحكم لأنني أعلم أن فيكم نبي هاشم وطالبين، المهاجرين والأنصار، ومن حرف الإسلام صيانتكم ثم حرصهم على الثورة ضد ابن رائق قائلاً لهم:

فمن رام ابن رائق نقض ما عملت فاضربوا وجهه ووجوه أصحابه بتلك السواعد والسيوف، وأنا من ورائكم.

ثم ذكر أصل البصرة ببلائهم في القتال، وفي أيامهم الغبرة، وثوراتهم ضد الأمويين مع ابن الأشعث، وغيره وقال لهم:

قلوبكم قوية، وأمالككم فسحة، ونفوسكم شديدة في مجاهدة عدوكم، ثم وقع أبو عبد البريدي للنفقة على المسجد الجامع بالبصرة بألفي دينار لأنه كان خراباً^(١).

من خلال هذا الخطاب الذي وجهه أبو عبد الله البريدي لأهل البصرة يتضح لنا أن أبا عبد الله البريدي كان يطمع لتوطيد سلطاته في البصرة من خلال توفير الإمكانيات المتاحة لأهل البصرة وما يحتاجون إليه بالإضافة إلى المعاملة الحسنة، وخصوصاً أن الناس قد ضاقوا ذرعاً بإبن رائق، فأخذوا هذا في الاعتبار وبدعوا يشعلون حمية أهل البصرة ضد الخلافة، وضد ابن رائق بالإضافة إلى وعوده لهم ومدحه لهم بأن من خيرة الأجناد وقدرتهم على القتال، وبالتالي وبهذا الأسلوب اللين كسب قلوب الناس وأثار حفيظتهم، وفي

(١) نص الخطاب منقول من كتاب الدكتور تحسين حميد تاريخ البصرة ص ١٤.

نفس الوقت ضمن النصر له منهم، وبلغ فيهم مبلغاً عظيماً يستطيع بذلك أن يفعل ما يريد.

د. البريديون يهتمون بالأمور العسكرية:

وفي سبيل تحقيق ما هم به أبو عبد الله البريدي بدأ ببناء سفن حربية كالشذورات، والزبازب والطيارات والاستكثارات^(١) حتى اجتمعت له مائة قطعة في نهاية الوثاق والجودة^(٢).

وقد بلغ جند البريدي النظامي من العدد والعدة ما فاق جند ابن رائق في بغداد وخصوصاً أن ابن رائق قد خفض من جند وبسبب كثرة النفقات وأن ما سرحهم من الجند التجأوا إلى أبي عبد الله في البصرة وانضموا إليه فقبلهم، وضاعف أوزاقهم^(٣).

يقول المسعودي: أشد أمر البريديين بالبصرة، ومنعوا السفن أن تصعده وعظم جيشهم، وكثرت رجالهم، وصار لهم جيشان جيش بري، وجيش بحري^(٤).

ولما بلغ ابن رائق ما خاطب به البريدي أهل البصرة، وما أعدوا من جيوش جهز جيشاً كبيراً، وتحرك من واسط قاصداً البصرة^(٥).

فأمر البريدي جنده الذين كانوا بحصن مهدي، بدخول مدينة البصرة فدخلوها وكسروا جند ابن رائق فيها وفر عاملها محمد بن يزداد^(١).

(١) ابن مسكوية، تجارب الأمم ج ١ ص ٣٦٢-٣٦٥.

(٢) ابن مسكوية، المصدر السابق ج ١ ص ٣٦٤.

(٣) د/تحسين حميد، تاريخ البصرة ص ٢٥.

(٤) المسعودي، مروج الذهب ج ٤ ص ٢٤٨.

(٥) ابن المسكون، تجارب الأمم ج ١ ص ٣٩٦.

وعندما أرسل ابن رائق رسالة إلى البريدي يطلب إخراج جنده منها رفض ذلك وأجابه: (إنه لا يمكنه رد رجاله من البصرة لأن أهلها قد انسوا به واستوحشوا من قبيح ما عملهم به عاملهم ابن يزداد في أيامه لأن القرمطي طامع في البلد، وليس يأمنه متى كاتبهم بالانصراف أن يدخل القرامطة البصرة^(٢)).

أرسل ابن رائق قائده التركي بجكم لحرب البريديين فاستطاع أن يهزمهم في الأحواز، ولكنه فشل، في دخوله البصرة، وحلت الهزيمة، مما جعل ابن رائق يسير بنفسه، فلما دخلت طلائع جند ابن رائق البصرة قاتلهم العامة قتلاً شديداً، حتى رجموا الجند بالحجارة، وكان مشهداً عظيماً جعل ابن رائق يرجع إلى واسط دون أن يحقق الهدف الذي جاء من أجله، وبعد فشل الحل العسكري مع البريديين اضطر ابن رائق إلى موادعتهم خصوصاً أن البويهيين بدأ يتعاضم خطرهم، بعد دخولهم الأحواز فتم الصلح بينهم ورضي عنهم الخليفة العباسي، وقطعت لهم الخلع على أن يقيموا الخطبة بالبصرة لابن رائق، ويعملوا على استرجاع الأحواز من البويهيين وأن يحملوا إلى بغداد ٣٠ ألف دينار سنوياً^(٣).

هـ. البريدي في الوزارة:

بعد ما تم بين الطرفين من صلح أرسل الخليفة الراضي يعرض على أبي عبد الله البريدي الوزارة، فقبلها بعد امتناع، ولكنه لم ينتقل إلى بغداد، وإنما قبل الوزارة وأتاب عنه ببغداد أحد أتباعه^(٤).

(١) ابن مسكويه، المصدر السابق ج ١ ص ٣٦٩.

(٢) المصدر السابق ص ٣٦٩.

(٣) ابن مسكويه، تجارب الأمم ج ١ ص ٣٨٥.

(٤) مسكويه، تجارب الأمم، ج ٢ ص ١٣.

لعلنا نلاحظ أن البريديين كان عندهم فطنه، وبُعد نظر في سياستهم، من خلال كسبهم للرعية، الذين كانوا هم السبب الرئيسي في صد ابن رائق عن البريديين. ذلك أجبر الخليفة أن يقلده الوزارة، ولا يغيب عن أحد أن يكون تقليد الوزارة له أمراً لجذبه بعيداً عن موطن قوته، وبالتالي يستطيع الخلاص منه ولكن هنا تظهر فتنة البريدي الذي لم يستجب للخليفة، ولم يذهب إلى بغداد، وبالتالي يعقد ما سعا إليه بل اندب مكانه من يقوم بهذه المهمة، ولم يخرج هو من البصرة.

غير أن الخلاف قد تجدد بين البريدي، وبين جكم^(١) أمير الأمراء آنذاك مما جعله يسقط اسمه من الوزارة، ولكن بجكم قتل، وهو خارج من واسط لحرب البريدي، فخروجه هذا أدخل الرعب في قلوب البريديين إلا أنه بعد موته استغل البريديون ذلك وخصوصاً بعد تقدم حوالي ٣٠٠٠ جندي من جنود الخلافة فقبلهم، وضاعف أرزاقهم^(٢).

ع. دخول البريديين بغداد:

أصبح البريدي في مركز قوة واستطاع دخول بغداد، وقد اعترف الخليفة المتقي بالأمراء الواقع فقلد أبا عبد الله البريدي الوزارة للمرة الثانية دون أن يلقاه أو يجتمع به^(٣).

ولما الهدف الأساسي من دخول البريدي بغداد هو الحصول على الأموال فقد اتبع سياسة البطش، والعنف مع الناس خصوصاً الأغنياء منهم،

(١) التعريف بجكم ونبذة عن حياته في البحث الأصلي.

(٢) مسكوية المصدر السابق ج ٣ ص ١٣.

(٣) د/ سيدة الكاشف، مصر في عصر الإخشيديين ص ٨٠.

ولم ينج من ذلك حتى الخليفة نفسه حيث أرسل إليه أحد القضاة، وطالبه بحمل ٥٠٠ ألف دينار بدعوى توزيعها على الجند، فاستجاب الخليفة لطلبه مرغماً^(١).

فكان هذا نكبه عليه حيث انقلب عليه الجند، وانضموا إلى الخليفة فهرب أبو عبد الله البريدي، وابنه وأخوة في نهر دجلة إلى واسط، ومنها إلى البصرة^(٢).

هنا يتضح الهدف الأساسي الذي نواه البريدي ضد الدولة العباسية قلدوه الوزارة، وأعطوه المناصب لكن ظهرت النية الحقيقية من خلال أخذ الأموال وظلمه للرعية، ولكن الله سبحانه وتعالى أراد أن يحق الحق فعلم الناس ما كان عليه، وجشق فأنصرف عنه من ناصرته فما الهدف الحقيقي الذي كان يريدته أبو عبد الله البريدي...؟.

واتقف أن عاد ابن رائق للمرة الثانية إلى بغداد، وتولى إمرة الأمراء من جديد فخطب البريديون في البصرة وواسط محاولين ترضيته، ولكن ابن رائق خرج لحربهم بعد أن تباطؤوا في حمل أموال ضمانهم إلى بغداد ثم عادوا، واصطلحوا بعد أن أعادوا أموال الضمان مرة ثانية^(٣).

وأعيد البريدي للوزارة للمرة الثالثة فاستحلف أحد أتباعه ممثلاً له في بغداد بعد تأسف الخليفة على ٤٠٠ ألف دينار ضاعت على الذي أعده لصد البريديين عن بغداد^(٤).

(١) د/ تحسين حميد، تاريخ البصرة ص ٢٨.

(٢) مسكوية، تجارب الأمم ج ٢ ص ١٩.

(٣) المصدر السابق، ج ٢ ص ٢٣.

(٤) المصدر السابق، ج ٢ ص ٢٣.

غير أن جند الأتراك خرجوا على ابن رائق سنة ٣٣٠هـ ولجأوا إلى
أبي عبد الله البريدي فقبلهم وقوى بهم مما أدى إلى عودة الخلاف بينهما مرة
أخرى، وأزيل اسمه من الوزارة ولعن البريدي على المنابر في بغداد^(١).

غ. مواجهة بين الدولة الحمدانية والبريديين:

عزم أبو عبد الله البريدي دخول بغداد للمرة الثالثة،؟؟؟ أخوه أبو
الحسين البريدي، واستطاع أن يكسر جند ابن رائق أما ابن رائق والخليفة
المتقي فقد خرجا إلى الموصل ملتجئين إلى بني حمدان لم يستطع البريديون
البقاء في بغداد أكثر من أربعة شهور فقد استطاع الحمدانيون أن يدخلوا بغداد،
ومعهم الخليفة المتقي، بعد أن قاتلت معهم العامة، ونصرهم جند الخلافة
فاستقبلوا من قبل الجمهور البغدادي بحفاوة، ونصبت لهم القباب ومعالم الزينة
احتفاءً بهذا النصر، وخلال هذه الخدمات خلع المتقي على الحسين بن حمدان،
وقله إمرة الأمراء، ولقبه بناصر الدولة وعلى أخيه علي بسيف الدولة^(٢).

وانتهى أمر البريديين، ونحن الآن ليس بصدد النهاية التي انتهوا إليها.
سواء على يد البويهيين أو غيرهم إنما الأمر المؤسف أن تنال الدولة العباسية،
على مدى أكثر من ٢٠ عاماً ما نالت من صراعات أثر ذلك في سياسة الدولة،
وعلى المسلمين جميعاً، فماذا كان يريد وهؤلاء البريديون.

وأخيراً انتهت ملحمة البريديين مع الحمدانيين والدولة العباسية كما قدمنا
سالفاً.

(١) مسكوية المصدر السابق ج ٢ ص ٢٣.

(٢) مسكوية المصدر السابق ج ٢ ص ٢٦، ٢٨، ٣٠.

الخاتمة

وأخيراً يتضح لنا من الدراسة في العلاقة بين الدولة الحمدانية والدولة الإخشيدية والخلافة العباسية، والبريديين أنه كانت هناك علاقات بينهم الدولة العباسية، وهي الحاكم الأصلي للعالم الإسلامي والدولة الحمدانية دولة مستقلة عن العباسية، ولكن وجدنا أن الحمدانيين كثيراً ما أكرموا من قبل الخلافة العباسية، ولكن سرعان ما كانوا ينقلبوا على الخلافة العباسية، ومحاولة خلعهم من الخلافة ولكن سرعان ما يرجع الحمدانيون عن ذلك حينما يرون البأس وقوة الشكيمة من الدولة العباسية، وأيضاً تخلصنا إلى نتائج من علاقة الدولة الحمدانية مع الدولة الإخشيدية، وهي سمات علاقات سياسية، وفكرية والتي سنتحدث عنها أثناء الحياة الفكرية في الدولة الحمدانية، أما من ناحية الأمور السياسية، فكانت تشتعل الأمور بين الطرفين ولكن سرعان ما تتطفئ، ويسود الود، وخصوصاً أن الإخشيديين تركوا الحمدانيين ليكونوا سداً منيعاً ضدهم والدولة البيزنطية.

غير أنه لم توجد ثمة علاقة واضحة بين البريديين والدولة الحمدانية إلا من خلال المواجهة التي دارت بينهم حينما لجأ الخليفة العباسي إلى الحمدانيين ليخلصوهم من استفحال أمر البريديين، ودخولهم بغداد.

المصادر والمراجع

- أولاً: أسماء المصادر:

١. ابن الأثير: "علي بن أحمد بن أبي الكرم ت ٦٣٠هـ/١٢٣٨م" الكامل في التاريخ ١٢ جزءاً بولاق ١٢٦٠هـ.
٢. ابن سعيد (علي بن موسى المغربي) ت ٦٧٣هـ/١٢٧٥م "السفر الرابع من كتاب المغرب في حلى المغرب ليدن ١٨٩٩م.
٣. الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري تاريخ الرسل والملوك ط ليدن.
٤. ابن العبري: "أبو الفرج بن هارون الملطي" ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦م "تاريخ مختصر الدول" مطبعة الأباء اليسوعيين بيروت ١٨٩٠م.
٥. ابن العديم الحلبي "كمال الدين أبو حفص أو أبو القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله المعروف بابن العديم، ت ٦٠هـ/١٢٦١م بقية الطلب في تاريخ حلب.
٦. القلقشندي: "شهاب الدين أبو العباس أحمد بن علي ت (٨٢١هـ/١٤١٨م) "صبح الأعشى في صناعة الأنبا" ١٤ جزءاً المطبعة الأميرية بالقاهرة ١٩١٣-١٩١٩م.
٧. الكندي (أبو عمر محمد بن يوسف) ت ٣٥٠هـ/٩٦١م "كتاب الولاة وكتاب القضاة" ليدن بيروت ١٩٠٨-١٩٢١م.
٨. أبو فراس الحمداني "الحارث بن سعيد بن حمدان) ت ٣٥٧هـ/٩٦٨م ديوان أبي فراس الحمداني عنى بجمعه ونشره وتعليق حواشيه ووضع فهرسه الدكتور سامي الدهان بيروت ١٣٦٣هـ/١٩٤٤م.
٩. أبو المحاسن "جمال الدين يوسف بن تغري بردي) ت (٨٧٤هـ/١٤٦٩م - ٤٧٠هـ) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة طبعة دار الكتب المصرية ١٩٢٩م-١٩٤٩م.
١٠. المقرئزي "تقي الدين" ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م - ٤٤٢م "المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار" جزءان بولاق ١٢٧٠هـ.

١١. ياقوت (شهاب الدين أبو عبد الله الحموي الرومي) (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٩م) "معجم البلدان" ٨ أجزاء القاهرة ١٣٢٣هـ/١٩٠٦م.

- ثانياً: أسماء المراجع:

١- أحمد مختار العبادي، في التاريخ العباسي والفاطمي دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت.

٢- راغب السرجاني، الموسوعة الميسرة في التاريخ الإسلامي إعداد فريق البحوث والدراسات الإسلامية (فدا) إشراف ومراجعة قاسم عبد الله إبراهيم- محمد عبد الله صالح.

٣- د/سيدة إسماعيل الكاشف، مصر في عصر الإخشيديين الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٩م.

٤- د/مصطفى الشكعة، فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين عالم الكتاب بيروت ١٩٨١م.